

النبي والأمام أخوة المسير والمصير

منذر جواد مرزّه

القرآن الكريم كتاب الله المنزل، أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليتلوه على الناس ويبلغ به هدىً ورحمةً أرادها الله لعباده لينقلهم من الظلمات إلى النور، وليزيدهم من فضله، أنه بعباده رؤوف رحيم، ولم يترك القرآن العزيز صغيره وكبيره إلا بينها لئلا يكون للناس الحجة في أنهم لم يندروا أو يبلغوا بما لهم وما عليهم تأديته ليكونوا في مأمن من حساب يوم الآخرة (يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم) ^(١)، وبعد ثلاث وعشرين سنة من الجهاد والكفاح في التبليغ ونشر الرسالة، وقد شاء الله فيها إن يكون مع الرسول من يسنده ويشد عضده، كما ساند هارون موسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام. وكان هذا العضيد والسند نوراً قسماً لنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان واحداً تناقلته الأصلاب والأرحام إلى صلب عبد المطلب، وهنا شاءت الأرادة الإلهية كما في اللوح المحفوظ إن تنتشر قسمين، قسم لصلب عبد الله وكان منه محمد ومثله لأبي طالب ليكون منه آخر ولده علي. الذي أولده ولادة لم يسبق إن ولد بمثلها أحد ولم يولد بعدها بمثلها أحد، وشاء الله وبوحي منه إن يتبناه محمد ويتربى في حجرة الكريم كأفضل حجر لأعظم إنسان شرفاً وخلقاً ونبلاً وأمانة و...و... إلى مالا نهاية من الصفات الطيبة الحميدة، ولم يكتفي الله سبحانه وتعالى بما يقتبسه علي من أبين عمه من صفات أرادها فيه، بل أنه جل وعلا قد أختار إن يكون هذا الغلام سند الرسالة التي سيبعث محمد بها، وإن يكون أخاً له يعاضده في تبليغها ونشرها بين الناس، (أنت أخي في الدنيا والآخرة) ^(٢) وعن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: (كنا جلوساً عند رسول الله، إذ أقبل علي بن أبي طالب، فلما نظر إليه النبي قال، قد أتاكم أخي.) ^(٣). فأورثه شجاعة مثلها و (طيبة وإقبال على المعرفة وإثار للمعرفة) ^(٤) لذا فقد كان علي عليه السلام يتبع النبي أتباع الفيصل أثر امه،

١-الآية من سورة

٢-الطبري- ذخائر العقبى- الصفحة ٧٦

٣-الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ٢- الصفحة ٢٦٢. ٤-عباس محمود العقاد- مطلع النور-
الصفحة ٦٥

و(كان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته.)^(١) وبهذه العلاقة فقط أكتسب جميع صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عدا النبوة، وقد ورث بحكم مولده ونشأته مناقب النبوة ومواهب الرسالة وبلاغة الوحي وصراحة المؤمن وبسالة المجاهد^(٢). فهو قد ولد وعاش في كنف الإسلام وهو لم يكن أي شيء آخر غير أنه مسلم لم يمارس عبادة الجاهلية ولا أعرافها وإنما كان مناخه إسلامياً وأعرافه إسلامية أيضاً^(٣)، إذ كان تابعاً للنبي صلى الله عليه وآله في جميع أفعاله مسنداً من الله تعالى لذلك وقد حمل أسلامه بين جنبيه وتحت ضلوعه وفي أعماق روحه.^(٤) فالإسلام بالنسبة له إيمان وعقيدة أكثر من أي شيء آخر، وفي رسالة بعثت لمعاوية بن أبي سفيان تقول: (إن الأمام علياً أول من أجاب وأجاب وصدق ووافق فأسلم وسلم، فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه من كل هول، وواساه بنفسه من كل خوف، فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتدلاً نفسه في ساعة الأزل ومقامات الورع حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارباً له في فعله.)^(٥)

وقد قال عليه السلام في نفسه: (أنا عبد الله وأخو رسوله، أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين.)^(٦). ويقول الأمام زين العابدين عليه السلام: (إن أول من شرى نفسه إبتغاء مرضات الله علي بن أبي طالب)^(٧). أشارت إلى مبيت الأمام مكان رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة، تجسيدا لقول الله تعالى في كتابه المنزل:

١- نهج البلاغة- الخطبة ١٩٠

٢- أحمد حسن الزيات- تاريخ الأدب العربي- الصفحة ١٢٨

٣- جلال السيد- علي بن أبي طالب- الصفحة ١١٤

٤- طه حسين- الفتنة الكبرى- الجزء ١- الصفحة ١٥١

٥- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- الجزء ٣- الصفحة ١٨٨

٦- الطبري- التاريخ- الجزء ٢- الصفحة ٣١٠

٧- الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ١- الصفحة ٩٩

(من الناس من يشرى نفسه أبتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد.)^(١)، وكانت هذه الآية الكريمة قد نزلت تقيماً لعمل الأمام البطولي وتعرضه لمؤامرة قريش في موقف فريد غير مجرى الدعوة الإسلامية عندما نجا الرسول من محاولة قتل التي أعدتها قريش بقبائلها لتخلص منه، وقد أدى الأمانات التي كانت لدى الأمين إلى أهلها. ومن أجدر من علي برد هذه الأمانات في ثلاثة أيام بين الناس في مكة لا خائفاً ولا وجلاً، ثم خرج على أعين الكل مبتغياً خطى الرسول حتى لحق به^(٢). وشاهد آخر على الأخوة الخالصة والفداء بالنفس والنفيس، يوم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عشيرته الأقربين ليبيشرهم بالدين الجديد وينذر من تخلف عنه بما أعده الله سبحانه تعالى من ويل وثبور وليهديهم سبيل الرشده فيتخذوه سبيلاً، وكان علي قد شبك يده بيد البشير النذير عندما ناداهم إلى من يجيبه إلى هذا الأمر ويؤازره عليه. وقد أحجموا جميعاً عن الإجابة إلا علي إذ هب وقال متحدياً: (أنا يا نبي الله)، وأعادها النبي مرات، وأعادها علي كذلك. فما كان من النبي صلوات الله عليه وآله إلا إن قال: (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا.)^(٣) وكان فعلاً كما قال أخاً لأبن عمه رسول الله ونبي الرحمة لم يفارقه ولم يتخلف عنه، حمل لواءه في كل مشاهدته.^(٤)

وليس أكثر ثبباً لأخوة علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله. عندما ذب عن رسول الله في أشد حالات الخطر، عندما كانت موقعة أحد، وعندما تفرق المسلمون عن النبي وتركوه وحيداً إلا من قلّة من حواريه، وكان علي في الجبل يطارد المشركين عندما سمع النداء: (يا علي أدركني) فما شاهده إلا عنده يذود عنه، فبارز طلحة بن أبي طلحة فقتله، وأجهز على أصحاب الألوية والرايات الذين إستغلّوها فرصة للهجوم على النبي بعد أن غدا وحيداً، فأرداهم الواحد بعد الآخر، كما برز لسعد بن أبي طلحة عندما نادى للمبارزة، وما هي إلا وهنة إلا وكان المشرك جثة هامدة مفلوق الرأس.

١-سورة البقرة- الآية ٢٠٧

٢-الشيخ المفيد- الأرشاد- الصفحة ٣١

٣-الطبري- التاريخ- الجزء ٢- الصفحة ٣٢٠

٤-أبن سعد- الطقات الكبرى- الجزء ٣- الصفحة ٢٣

لقد ثبت علي عليه السلام للدفاع عن رسول الله وعن الإسلام الذي جاء به من عند الله عز وجل، وبايع على الموت بعد إستشهاد عمه الحمزة بن عبد المطلب، وغيره من الأبطال المسلمين^(١)، وقد عبر عن ذلك في غزوة بني قريظة عندما خاطب المسلمين بقوله: (يا كتيبة الإيمان، والله لأذوقن ما ذاقه حمزة أو لأقتحنن حصنهم)^(٢). وقد أتم الله النصر على يديه، وكذلك في معركة الخندق عندما حاصرت قريش المدينة وإستطاع فارسها عمرو بن ود العامري إن يخترق الخندق، فأحجم المسلمون عن قتاله. عندما دعاهم للمبارزة لما هو معروف عنه من شجاعة وقوة، وعندما طلب الأمام من رسول الله إن يسمح له بالمبارزة، ورغم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمهله عدة مرات عسى إن يتصدى له المسلمون الذين أخذهم الخوف والهلع، ولما يئس عليه أفضل الصلاة والسلام من تصدي المسلمين لعدوهم أذن له بالمبارزة ورفع رأسه إلى السماء يطلب من الله عز وجل إن يعينه عليه^(٣). ومن جملة ما قاله الرسول يخاطب المسلمين: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله) وما هو معروف إن موقعة الخندق كانت حداً فاصلاً بين الإسلام والرجوع إلى الوثنية، وقد جسد الرسول الأعظم حجم هذه الموقعة بعدة أحاديث وأقوال منها: (لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن ود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة)^(٤) و(ضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين)^(٥). كل هذا ولا تغيب عنا واقعة خيبر وحديث الراية المتواتر في كل كتب التاريخ^(٦)، حيث سقطت كل الحصون وقتل علي مرحب فارس اليهود وشجاعها.

١-أبن سعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٣- للصفحة ٢٣

٢-ابن هشام- السيرة النبوة- الجزء ٢- الصفحة ٢٥١

٣-أبن سعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٢- الصفحة ٨٦

٤-الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ٢- الصفحة ٩

٥-أبن سعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٢- الصفحة ٧٢

٦-الطبري- التاريخ- الجزء ٢- الصفحة ١١. أبن سعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٢- الصفحة

١١٠. الشيخ المفيد- الأرشاد- الصفحة ٣٦

ولا يسعنا هنا ونحن في صدد بحث لا كتاب إن نتطرق لكل مواقف علي في كل الحروب والغزوات لأن ذلك يحتاج إلى كمّ من الصفحات، وإن ما ذكرناه للدلالة على من هو علي بالنسبة لمحمد في جهاده وكفاحه لنصرة الإسلام ونشره والحفاظ عليه، وإلا فإن المواقف أكثر، وربما بعضها أعنف وأصعب، كما حصل في واقعة حنين بعد فتح مكة، حيث تحالفت هوازن وثقيف للقضاء على محمد وعلى دينه الجديد. وكانت المعركة التي هي أشد على المسلمين، (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتم فلم تغني عنكم شيئاً، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها.)^(١)، وهنا يبرز دور الأمام علي عليه السلام في تغيير ميزان القوى لصالح المسلمين، عندما تقدم لصاحب راية هوازن وأرداه قتيلاً، وبقتله كانت هزيمة الجمع الكافر^(٢)، من هوازن وثقيف ودخل المسلمون الطائف. وأخذ الأمام بيده يهدم الأصنام ويكسرهما أينما وجدت^(٣) فتهوى الكفر وانتشر الإسلام.

ولم تكن هذه آخر المطاف، وإنما كانت هناك غزوات وإن لم يحصل بها قتال، حتى عقدت له الراية وسار بها إلى اليمين مرتين لدعوة أهلها إلى الإسلام، وكانت اليمن قبل إرساله إليها قد عصت على من أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وآله قبله، وكانت الثانية التي عاد منها في ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة والنبي في مكة حيث حجة الوداع.^(٣)

لقد كانت صحبة الأمام علي عليه السلام لأخيه محمد صلى الله عليه وآله منذ فجر الإسلام ويزوغ تشريعه أدت إلى إن يكون كاتب الوحي المنزل إضافة إلى عهود رسول الله وأماناته التي دونها بخطه عليه السلام.^(٤) وكذلك كتابة وتدوين ما كان يقوله النبي ويحدث به،

١-سورة التوبة- الآية ٢٥-٢٦

٢-الطبرى- التاريخ- الجزء ٢- الصفحة ٧٦. البعقوبي- التاريخ- الجزء ٢- الصفحة ٥٢. ابن هشام- السيرة النبوية- الجزء ٤- الصفحة ٨٨

٣- الطبرى- التاريخ- الجزء ٣- الصفحة ١٣١. ابن السعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٢- الصفحة ١٦٩

٤-أبن النديم- الفهرست- الصفحة ٣٦

حتى جعل من هذه الكتابة كتاباً أطلق عليه أسم (الصحيفة الجامعة) أو(كتاب علي) توارثه أئمة أهل البيت عليهم السلام واحداً عن آخر،^(١) وقد أجمع أكثر المؤرخين

على ذلك، ومنهم من قال أنه شاهده وقرأ فيه، وهذه كلها دلالة على صحبة الأمام للنبي وملازمته له في حله وترحاله.^(٢)

وإن ما عرف عن أمير المؤمنين علي عليه السلام من علوم ومعرفة ودراية لكل ما في الكون من آية. إلا وقد أستمدها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال سلام الله عليه في ذلك: (سلوني قبل إن تفقدوني فأنا بين الجوانح علم جم، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقتي رسول الله زقاً من غير وحي أوحى إليّ، فو الله لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم ولأهل الأنجيل بأنجيلهم)^(٣). وبعد فهل هذا هو كل حق علي بصحبته من الرسول الكريم، وإنما تعدى ذلك إلى أنه أعلم الأمة وأقضاهم فيما يختلفون فيه، وقد ورد عن ابن عباس الحديث الشريف: (علي بن أبي طالب أعلم أمتي وأقضاهم فيما اختلفوا فيه من بعدي)^(٤). وقول أنس بن مالك عن رسول الله: (أقضى أمتي علي). وقد أمر النبي علياً بالقضاء في حياته فقضى في الكثير من الخصومات^(٥). وقد أرسله في مرة إلى اليمن قاضياً، حيث أشار هو عليه السلام إلى ذلك فقال: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قاضياً فقلت: يا رسول الله أنك ترسلني إلى قوم يسألونني ولا علم لي بالقضاء، فوضع يده على صدري وقال: إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا قعد الخصمان بين يديك فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول. فإنه أجرى إن تبين لك القضاء.)^(٦).

١- الكليني- الكافي- الجزء٧- الصفحة٩٣

٢-أبن هشام- السيرة النبوة- الجزء٣- الصفحة٣٣. الطبري- التاريخ- الجزء٢- الصفحة٦١٤. المفيد- الأرشاد- الصفحة٦٣. عباس محمود العقاد- عبقرية محمد- الصفحة٦٤

٣-الخوارزمي- مقتل الحسين- الجزء١- الصفحة٤٤

٤-الشيخ المفيد- الأرشاد- الصفحة٢٢

٥- الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء١- الصفحة٢٦٥

٦- أبن سعيد- الطبقات الكبرى- الجزء٢- الصفحة٣٣٧

إن القلم ليعجز، وإن الفكر ليتعب في إن يسطر على الورق كل ما للأمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أمور لا يضاويه بها أحد، ولا يصل لعظمها أحد، وقد مرّ القول بأن الله سبحانه وتعالى قد أشرك هارون في النبوة لموسى بوزارته

وأعانتة على تأدية الرسالة والنصرة عند الحاجة، ثم خلافته في غيابه، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي كل منازل هارون لموسى عدا النبوة، وقد صرح بها أمام الملاء، عندما توجه لغزوة تبوك، ولم يأتي هذا دون سبب، فقد كان ثاني رجلين عندما أنزل الله الإسلام، محمد المختار نبياً صدع بحمل الرسالة، وعلي آمن بها وصدقها و زاد عنها^(١)، لذا جاء فضله على الأولين والآخرين، وجاء في حديث النبي الأعظم لأبنته فاطمة الزهراء عليها السلام: (أما ترضين يا فاطمة أني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً، إن الله تعالى أطلع إلى أهل الأرض إطلائاً فأختار منهم أباك فجعله نبياً، وأطلع إليهم ثانية فأختار منهم بعلك فجعله وصياً، وأوحى الله إلي إن أنكحك إياه، أما علمتي يا فاطمة لكرامة الله تعالى أياك زوجك أعظمهم حلاً وأكثرهم علماً وأقدمهم سلماً.) وقال لها رسول الله: (يا فاطمة إن لعلي ثمانية قواطع لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين مثلها، هو أخي في الدنيا وليس ذلك لأحد من الناس وعنده علم الأولين والآخرين وهو أول من آمن بي وآخر الناس عهداً بي وهو وصيي ووارث الوصيين.)^(٢) وعن أنس بن مالك إن رسول الله قال لعلي: (أنت مني وأنا منك، تؤدي عني وتقي بذمتي، وتغسلني وتواريني لحدي، وتسمع الناس عني وتبين لهم بعدي.)^(٣)، وقال ابن عباس في علي بن أبي طالب: (إن أربعة ما هن لأحد، هو أول من صلى مع رسول الله، وهو صاحب لوائه، في كل رجف، وهو الذي ثبت معه يوم المهراس (يعني يوم أحد) وفرّ الناس هو الذي أدخله قبره.)^(٤)

وتعقيباً على يوم أحد. عندما جاء جبريل عليه السلام لرسول الله فقال: (يا رسول الله عجبت الملائكة وعجبنا معها، من حسن مواساة علي لك بنفسه).

١- الشيخ المفيد- الأرشاد- الصفحة ٣٠

٢- الشيخ المفيد- الأرشاد- الصفحة ٣٣

٣- ن.م- الصفحة ٣٨

٤- ن.م- الصفحة ٥٨

فقال رسول الله: (وما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه)، فقال جبريل: (يا رسول الله وأنا منكما.)^(١).... ولعلي من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الشيء الذي لا يعد، فما من وقفة أرادها الحاسدون أو الكائدون، إلا وكان العكس مما أرادوا، وواحدة منها كما حدث الرسول: إن علياً يحل له من الفيء ما يحل للنبي، وأنه خير

الناس لأي قوم من الأقسام، وأنه خير من يخلفه لأمته ويحذر الناس من إن يبغضوا علياً فيبغضهم الله.

ولنا في حجة الوداع الدليل الواضح الذي أراد الله سبحانه على عباده جميعاً والمسلمين منهم خاصة، فعندما أذن النبي في الناس بها، وبلغت دعوته أقاصي البلاد، تجهز الناس للخروج معه، وحضر المدينة خلق كثير، فخرج بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتب إلى أمير المؤمنين علي بالتوجه إلى الحج من اليمن حيث كان قد أرسله إليها لمهمة جلييلة، فلما قارب رسول الله إلى مكة من طريق المدينة، قاربها أمير المؤمنين من طريق اليمن فأدرك النبي وقد أشرف على مكة، وعندما تلاقيا كبر النبي وقال لعلي: أنت شريكي في حجي ومنسكي وهديي، فأقم على إحرامك وعد في جيشك، وعجل بهم إلي حتى نجتمع في مكة إن شاء الله تعالى، ولما قضى رسول الله منسكه أشرك علياً في هديه، وقفل إلى المدينة وهو معه والمسلمون فلما إنتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم، وكان المكان قاحلاً لا ماء فيه ولا مرعى، وأمر الله سبحانه وتعالى هنا بأن ينصب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة في الأمة من بعده، وقد كان الوحي إليه في هذا الموضع، حيث علم الله أنه لو تجاوزه لأنفصل كثير من الناس إلى بلدانهم وأماكنهم وبواديههم، فأراد الله إن يجمعهم ليسمعوا النص على أمير المؤمنين وتأكيد الحجة عليهم: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس. ^(٢))، وعندها أمر النبي بجمع الرجال ووضع بعضها فوق بعض، ونادى المنادي: الصلاة جامعة، فأجتمعوا كلهم حوله، وعندما صعد الرجال إلى أعلاها ودعا أمير المؤمنين فرقا معه حتى قام إلى يمينه، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ فأبلغ في الموعظة، ونعى نفسه فقال: (إنني دعيت وأوشكت أن أجيب.... وأنني خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض... أأست أولى بكم منكم بأنفسكم ، قالوا ألهم بلى، فقال: وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما،

١- ن.م- الصفحة ٦٠

٢-سورة المائدة

فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله). ثم أمر المسلمين إن يدخلوا على علي في خيمته التي نصبها له في جانب خيمته، ويسلموا عليه بأمره المؤمنين.

كان في حجة الوداع من فضل أمير المؤمنين الذي أختص وأنفرد به من المنقبة الجليلة، فكان شريك رسول الله في حجة وهدية ومناسكه، ووقفه الله تعالى لمساواة نبيه في نيته ووفاقه في عبادته، وظهر من مكانه عنده وجليل محله عند الله سبحانه وتعالى، وأوجب فرض طاعته على الخلائق وإختصاصه بخلافته، والتصريح الى أتباعه، والنهي عن مخالفته، وصار النبي بعد ذلك في كل الفترة التي تلت حجة الوداع حتى قارب إن يجيب الله، لا يترك فرصة إلا وأكد فيها بأن علياً أخوه ووصيّه يقاتل بعده على تأويل القرآن كما قاتل هو على تنزيله.

وفي ساعة الوداع بعد إن خرج الناس دعا عمه العباس وأخاه علياً، فلما حضرا وأستقر بهما المجلس. أراد إن يوصي عمّه، فأعترز العم عن قبول الوصية، فعندما دعا علياً وقال: يا أخي تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي عني ديني وتقوم بأمر أهلي من بعدي، فقال: نعم يا رسول الله، فضمه إليه ونزع خاتمه وألبسه إياه ودعا بسيفه ودرعه فدفعهما إليه، وفي اليوم التالي، وكان في أشد الضعف قال: أدعوا لي أخي وصاحبي، فلما حضر علي دنا منه فأوماً إليه فأكب عليه فناجاه رسول الله طويلاً وأوصاه بما هو قائم به، وقبضت روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في حجر علي ويده اليمنى تحت حنكه، وعندما فاضت نفسه فيها رفعها إلى ووجهه فمسحه بها، ثم قام بما يجب عليه القيام به.

فعلي أذن ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً وفرض طاعته على كل واحد، ما ضحكتم، جائر قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، إسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعلي أمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله، وهم، فما من علم إلا قد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تظلوا عنه، ولا تستكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ولي يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله إن يفعل ذلك، إن يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبدية، فهو أفضل الناس بعدي، ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبريل عن الله، فلتنظر نفس ماذا قدمت لغد... إلا وقد أدبت، إلا وقد بلغت، إلا وقد أسمعتم، إلا وقد أوضمت، لاتحلّ أمره المؤمنين بعدي لأحد غيره.)⁽¹⁾.

وقد أحتج الأميني على ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير حيث نزلت آية التبليغ بثلاثين من أئمة أهل السنة وهم محمد بن جرير الطبري والحنظلي الرازي والمحاملي وأبو بكر الشيرازي وأبن مردويه والنيسابوري والأصبهاني والثعلبي

والسجستاني والحسكاني وأبن عساكر والنطنزي وفخر الدين الرازي والنصيبي والرسغني وأبو أسحاق الحموي، والهمداني والعيني الحنفي وأبن الصباغ المالكي والقمي النيسابوري والميبيذ والسيوطي والبخاري وجمال الدين الشيرازي والبدخشاني والشوكاني وشهاب الدين الألوسي والقندوزي ومحمد عبده المصري.

رحمك الله يا أبا الحسن.... هل يستطيع أحد إن يستوعب كل ما فيك من محاسن ومعجز ومكارم، إلا إنني كتبت فيك ولم أحصي فما أنا بقادر على الأحصاء، تكلمت وكتبت باليسير في موضوع واحد وهو أخوتك للرسول الأعظم وموقعك منه، وأني متأكد بأنني ما وفيت ولا أتممت، ولكني جهدت إن أذكر ما ذكرت وهو أقل القليل، فأنت والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حياة وصحبة، نفس ووحدة، كنتما نوراً واحداً فقسكما الله نورين لمشيئة شاءها وأرادها، فكنت المكمل والمتمم... الرسول صلى الله عليه وآله برسالاته وشريعته التي نزل بها جبريل عليه السلام، فأدى وبلغ، وجاهد وكافح، وأنت بشجاعتك وسيفك حميت وصنت ودافعت، لذا فقد قال فيك الرسول الكثير وأنزل الله سبحانه وتعالى فيك الكثير في محكم كتابه وكريم آياته، حتى عدك الرسول أنك مع القرآن والقرآن معك، لا تفترقا حتى ترد الحوض على النبي^(٢)، وأضاف لذلك فقد أحطت بالقرآن إحاطة تامة فقلت وأنت الصادق: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً). وقلت أيضاً: (سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار، في سهل أم في جبل).^(٣)

١- الأميني- الغدير- كتاب الغدير- الصفحة ١٣-١٤

٢- أبن حجر- الصواعق المحرقة- الصفحة ١٢٤

٣- ابن سعد- الطبقات الكبرى- الجزء ٢- الصفحة ٣٣٨. الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ١- الصفحة ٣٠

فما من أحد أعلم بما بين اللوحين من كتاب الله بعد نبي الله من علي بن أبي طالب.^(١) وقد أجمع العلماء بأن علياً كان يحفظ القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن أحد غيره يحفظه.^(٢) كما إن الأجماع بأنه قد نزلت في الإمام علي ثلاثمائة آية من القرآن الكريم^(٣)، وكانت ملازمة للأمام للرسول الكريم عليه أفضل

الصلاة والسلام ومصاحبته له ما جعله يكتسب منه الفضائل والعلوم منذ نعومة أظفاره حتى أصبح ربانيّ هذه الأمة^(٤)، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد إن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في فهمه والى إبراهيم في حلمه والى يحيى بن زكريا الى زهده والى موسى في بطشه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب)^(٥).

ولعلي أختم بحثي هذا بما قاله جورج جرداق في كتابه الأمام علي صوت العدالة الإنسانية ما نصه: (كان علي بن أبي طالب فذّ من أفاذ العقل وهو بذلك قطب الإسلام وموسوعة المعارف العربية، وليس من علم عربي إلا وقد وقع في أصله أو ساهم فيه.) أما الصحابي عبد الله بن عباس فقد قال: (رضي الله عن أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقي، ومحمل الحجا، وبحر الندى، وخور النهى، وكهف العلى للورى، داعياً إلى المحجة العظمى، متمسكاً بالعروة الوثقى، خير من آمن وأتقى، وأفضل من تقمص وأرتدى، وأبرّ من أنتقل وسعى، وأفصح من تنفس وقرأ،

-
- ١- الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ١- الصفحة ٢٦
 - ٢- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- الجزء ١- الصفحة ٢٧
 - ٣- ابن حجر- الصواعق المحرقة- الصفحة ١٢٥
 - ٤- الشريف الرضي- الأمالي- الجزء ١- الصفحة ٥٢
 - ٥- الطبري- ذخائر العقبى- الصفحة ١٠٢. الحسكاني- شواهد التنزيل- الجزء ١- الصفحة ٧٩

وأكثر من شهد النجوى، سوى الأنبياء والنبي المصطفى، صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد، وأبو السبطين فهل يقارنه بشر، وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطف بلد، للأسود قتال، وفي الحروب ختال، لم ترَ عين مثله ولن ترى، فعلى من أنتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد^(١).

منذر جواد مرزه

النجف الأشرف

ذو القعدة - ١٤٣٣

تشرين الاول ٢٠١٢م

١- المسعودي- مروج الذهب- الجزء٢- الصفحة ٢٤٩. الطبري- ذخائر العقبى- الصفحة٨٨.